مجلة كلية اللغات

Faculty of Languages Journal

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن كلية اللغات جامعة طرابلس

A Scientific Journal Issued by the Faculty of Languages, University of Tripoli, Libya

JUNE 2023

رقم الإيداع 167/ 2015 دار الكتب الوطنية بنغـازي

ISSN : 2790-4016

التداخل الأجناسي في الشعر المغربي المعاصر

د. عبد الغني الخلفي

قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة ابن طفيل، كلية اللغات والآداب والفنون، المغرب
elkhalfi986@gmail.com

الملخص

لقد عرف الشعر العربي عبر تاريخه الطويل الممتد تداخلا وتعالقا مع الكثير من الفنون الأدبية االأخرى بما في ذلك القصة والرواية والمسرح والسيرة الذاتية، وهو تداخل يلغي فكرة النقاء الأدبي التي كان يدافع عنها النقاد الكلاسيكيون وينتصرون لها؛ حيث مع هذا التداخل لم تعد هناك حدود فاصلة بين الشعر والنثر؛ فقد استثمر الشعراء في قصائدهم تقنية السرد والوصف والحوار والاسترجاع والاستباق التي تعد من مقومات الأعمال الحكائية. إلا أن هذا التداخل أصبح أكثر بروزا وتجليا في الشعر العربي الحديث بصفة عامة والمعاصر منه بصفة خاصة، الشيء الذي جعل النقد الحديث يولي هاته القضية بالغ الأهمية، وهي أهمية دفعتنا بدورنا إلى تسليط الضوء في هاته الدراسة على قضية التداخل الأجناسي في الشعر المعاصر، من خلال التعريف بقضية التداخل أو التعالق الأجناسي، مع تبيان مدى تأثير موقف النقاد الكلاسيكيين من قضية التداخل الأجناسي على الشعر العربي، وما عرفه موقفهم من عدول عنه بعد نكبة فلسطين، ثم ابراز تجليات هذا التداخل في الشعر المغربي المعاصر بالاشتغال على قصيدتي سبته والقدس لأحمد المعدواي المجاطي، وهما قصيدتان كان للتداخل الأجناسي فيهما حضور باز ساهم وبشكل كبير في خدمة جماليتهما وكذا وحدتهما العضوية وتجربة الشاعر الشعرية.

ABSTRACT

Throughout its long history, Arabic poetry has known an overlap and interdependence with a lot of other literary arts, including story, novel, drama and autobiography, which is an overlap that abolishes the idea of literary purity that was defended and championed by the classic critics. This overlap has consequently put and end to boundaries between poetry and prose as poets have invested the techniques of narration, description, dialogue, retrieval and anticipation in their poems, which are among the pillars of anecdotal works. However, this overlap has become more prominent and evident in modern Arabic poetry in general and in the contemporary one in particular, which has made modern criticism lay great importance on this issue. A significance which pushed us to shed light in this study on the issue of genres overlapping in contemporary poetry, through making known the issue with a clarification of the influence of the classical critics' position on this issue

on Arab poetry, and how they turned away from it after the Palestinian Nakba ،and then showing the manifestations of this overlap in contemporary Moroccan poetry by working on two poems entitled Sebta And Jerusalem, by Ahmad Al-Madawi Al-Majati, two poems with an obvious presence of an overlap of genres which has greatly contributed to Serving their aesthetics as well as their organic unity and the poetic experience of the poet.

الكلمات المفاتيح: التداخل الأجناسي، الشعر العربي، الشعر المعاصر. النقاد الكلاسيكيون.

المقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على النبي خير من نطق بالضاد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

تعد قضية التداخل الأجناسي من بين القضايا التي اثارت اهتمام الكثير من الدارسين للأدب العربي، وخصوصا الباحثين منهم في قضية الجنس والنوع، والسبب في ذلك كله هو كون مقام الكتابة هو مقام أجناسي بالدرجة الأولى، وكل جنس ونوع أدبي إلا ويتفرد بكيان بنيوي خاص يميزه عن غيره من الأجناس والأنواع الأدبية الأخرى. وانطلاقا من هذا التمايز والتفرد أصبحنا نتحدث عن فن الشعر وفن القصة وفن المسرح وغيرها من باقي الفنون الأدبية ، لكن هذا التفرد يكاد ينمحي أحيانا ويزول لما نوغل في تحليل ودراسة بعض الأعمال الأدبية التي تندرج ضمن هذا الفن أو ذاك، وذلك لما نجده أحيانا داخل العمل الإبداعي الواحد من تداخل بين مقومات فنون أدبية مختلفة، وهو ما يجعلنا أحيانا في مأزق التحديد الأجناسي الدقيق؛ والسبب وراء هذا كله هو أن النقاد لم يتمكنوا منذ نشأة نظرية الأجناس الأدبية إلى يومنا هذا من وضع الحدود الفاصلة بين أجناسها الأدبية، لتبقى بذلك الحدود بين هاته الأجناس حدودا وهمية؛ الشيء الذي يعني أن قضية تداخل الأجناس الأدبية وأنواعها ليس حدثا جديدا قد طرأ على النظرية

الأدبية، وإنما كان نتيجة لتعدد أنواعها وتطورها عبر عملية التوارث من جهة، والتجريب المستمر من جهة أخرى، حيث نجد ملامح هذا التداخل في النظرية الأرسطية التي تعد الأساس النظري الذي مازال النقاد والمنظرون يعتمدونه إلى يومنا هذا. وهو تداخل كان من بين خصائص الشعر العربي بصفة عامة والمعاصر منه بصفة خاصة. لدرجة أنه أصبح يعد من الأسس الجمالية في القصيدة المعاصرة، ومن آليات الشاعر للتعبير عن همومه ومعاناته ومجموع ما يتعلق بتجربته الذاتية التي تتصل في الكثير من الأحيان بتجربة الذات الجماعية. وانطلاقا من هاته الأهمية التي يكتسيها التداخل الأجناسي في الشعر المعاصر ارتأينا تسليط الضوء عليه وجعله موضوعا أساسا لدراستنا هاته، وذلك من خلال الاشتغال على قصيدتين معاصرتين لواحد من أبرز الشعراء المغاربة المعاصرين ويتعلق الأمر بالشاعر أحمد المعداوي المجاطي.

أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية هاته الدراسة في كونها تسلط الضوء على واحدة من القضايا المعاصرة التي استأثرت وبشكل كبير باهتمام النقد الحديث، ويتعلق الأمر بقضية التداخل الأجناسي وبالتحديد الشعر المعاصر، حيث ستمكن هاته الدراسة القارئ من معرفة المعنى المقصود بالتداخل الأجناسي، وتجليات حضوره في الشعر المغربي المعاصر، وكذا معرفة فائدة ووظيفة هذا التداخل في القصيدة المعاصرة بصفة عامة والمغربية منها بصفة خاصة.

الإشكالية العامة للدراسة:

تتوخى دراستنا هاته الإجابة عن إشكالية عامة وهي: إلى أي حد كان الشاعر المغربي المعاصر موفقا في الانفتاح على أجناس أدبية أخرى داخل القصيدة الشعرية دون الاخلال بمعاني ومقومات هاته الأخيرة الفنية؟.

أهداف الدراسة:

تتمثل الأهداف الرئيسة لهاته الدراسة فيما يأتي:

ـ التعريف بالتداخل الأجناسي.

ـ تبيان مواقف النقاد من التداخل الأجناسي بصفة عامة وفي الشعر العربي بصفة خاصة.

ـ الكشف عن تجليات التداخل الأجناسي في الشعر المغربي المعاصر، وكذا تبيان وظيفته وأهميته.

منهج الدراسة:

لقد اقتضت طبيعة موضوع بحثنا الاعتماد على المنهج البنيوي بمجموع آلياته المتمثلة في الوصف والتحليل والاستنتاج، وهو منهج بمجموع آلياته أتاح لنا فرصة الانفتاح على مجموعة من الدراسات الموازية التي لها علاقة بموضوع الدراسة، مما كان له إسهام كبير في إغناء موضوعنا والإحاطة بالكثير من جزئياته وتفاصيله.

خطة الدراسة:

وتماشيا مع طبيعة الأهداف المتوخى تحقيقها فقد اشتملت دراستنا هاته على مقدمة تم فيها تبيان أهمية الموضوع ومجموع أهدافه، والمنهج المعتمد عليه في الدراسة، ثم مبحثين اثنين؛ الأول منها خصصناه للحديث عن قضية التداخل الأجناسي في الشعر العربي،

والثاني جلعناه للكشف عن تجليات التداخل الأجناسي في الشعر المغربي المعاصر، وذلك بالاشتغال على قصيدتي سبتة والقدس لأحمد المعداوي المجاطي، هذا بالإضافة إلى الخاتمة، ولائحة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: التداخل الأجناسي في الشعر العربي.

يشير الدكتور خليل موسى إلى أن " الأجناسية Généricité هي مصطلح يقابل الأجناس الأدبية Genres وهي نظرية القوانين والدساتير والحدود التي وضعها النقاد بين الأجناس الأدبية، ودعو الأدباء إلى التزامها، ووجدوا أن لكل جنس قوانين تميزه من سواه، فللشعر الملحمي قوانين وصفات غير قوانين الشعر المسرحي وصفاته، وكذا شأن الشعر الغنائي" (خليل موسى ، 2010).

وهكذا يتضح لنا أن الأجناسية هي مجموعة من الخصائص والمميزات التي تميز فنا أدبيا عن آخر، الشيء الذي يبين لنا أن القول بالتداخل الأجناسي في القصيدة المغربية المعاصرة معناه اشتمالها على عناصر وخصائص ليست أصيلة فيها، وإنما تعود في أصلها الأول إلى فنون أدبية أخرى.

وقد كان النقد الكلاسيكي يقف سدا منيعا أمام فكرة التداخل الأجناسي، وظل شعاره المرفوع هو نقاء النوع الأدبي، اعتقادا من رواد هذا النقد أن التداخل بين الأجناس سيؤدي إلى هجنتها، كما أنه سيرفع من قيمة بعض الأنواع الأدبية ويقلل من شأن أخرى. ومن هذا المنطلق ظل هؤلاء النقاد متشبثين بمبدأ ضرورة إقامة الحدود والحواجز بين الأعمال الأدبية، وهذا ما يثبته خليل موسى في قوله " والنظرية الكلاسيكية لا تؤمن فقط بأن نوعا يختلف عن نوع بالطبيعة والقيمة، بل تؤمن أيضا بأن هذه الأنواع يجب أن تكون منفصلة، ولا تسمح لها بالامتزاج...وكانت المدرسة الكلاسيكي ترفض دخول مفردة لا تحمل معها جماليتها إلى حرم الشعر حتى لا يتشوه صفاء المفردات

الشعرية" (خليل موسى ، 2010). إلا أن موقف الكلاسيكيين هذا لا يعدو أن يكون مجرد حبر على ورق؛ لأنه من الصعب الحديث عن حدود فاصلة بين الأجناس الأدبية التي تبدوا أنها أقرب إلى التجاذب منه إلى التنافر الذي يبعدها عن بعضها. وما يثبت لنا هذا الأمر هو أن الشعر القديم قد عرف بدوره تداخلا مع أجناس أخرى، وخير دليل على ذلك هو تداخل فن القصة مع فن الشعر في ما يسمى بالشعر الملحمي، وإلى هذا يشير خليل موسى في قوله " الملحمة مثال على الاختراق للأجناسية، وهي تستبطن جنسين معا، وليست المأساة واحدة، ولا الملهاة ولا القصيدة الغنائية، فقانون التطور ومبدأ التناسل وقولة التأثر والتأثير حولوا كل شيء، ولذلك فإن التمييز بين الأجناس الأدبية لم يعد ذا أهمية، فالحدود بينها تعبر باستمرار، والأنواع تخلط أو تمزج، والقديم منها يترك أو يحور، وتخلق أنواع جديدة أخرى" (خليل موسى ، 2010). ومن هنا "فإن كل ما تقدمه الممارسة الفنية من دلائل على التعالق والانفتاح لا يمكن إلا أن يحطم ذلك الانطباع السائد عن نقاء النوع الفني، وأن يخلخل نموذجيته المحددة، وهويته الخاصة." (ناهم أحمد ، 2007)، إلا أن كل هذه المعطيات الموجودة في الواقع، والتي تثبت أن التداخل الأجناسي كان موجودا في الأدب القديم لم تكن لتقلل من سيطرة النقد المحافظ على أذهان القراء، إذ كان العمل الذي يلقى إقبالا وتمجيدا هو العمل الذي يظل وفيا لخصائصه، دون أن يتطاول على خصائص أنواع أدبية أخرى. وقد كان هذا الأمر هو السبب الذي أدى إلى التقليل من شأن أعمال الحركة الرومانسية التي حاولت تكريس مبدأ التداخل بين الأجناس الأدبية، حيث كان التصدي الذي واجهته من قبل النقاد الكلاسيكيين قويا، فحال ذلك دون تطور أعمالهم ووصولها إلى المستوى المنشود، لتستمر فكرة نقاء النوع مخيمة على أذهان القراء إلى أواخر النصف الأول من القرن العشرين؛ حيث تزعزعت ثقة الإنسان العربي بكل ما هو موروث جراء هول

الفاجعة التي خلفتها الحرب العالمية الثانية في العالم العربي، ثم النكبة التي أعقبتها وكذا مجموع النكسات، لتساهم كل هذه العوامل في تعميق الجراح، وليجد عندها الشعراء التواقون للتجديد الفرصة سانحة لتكريس مبدأ التداخل الأجناسي في قصائدهم، دون أن يجدوا ذلك الاعتراض الذي وجدته الحركة الرومانسية؛ لأن القارئ لم يعد يثق في نجاعة النظريات الكلاسيكية. وهكذا ستصبح ظاهرة التداخل الأجناسي بارزة بشكل كبير في القصيدة المعاصرة، حيث قام مجموعة من الشعراء المعاصرين باستثمار تقنيات السرد الروائي والحوار المسرحي والصراع الدرامي...ضمن قالبهم الشعري، دون أن يعني ذلك الخروج عن أساسيات النص الشعري ومكوناته، ومن ذلك بالدرجة الأولى المحافظة على الطابع الغنائي بصفته أبرز شيء في القصيدة الشعرية. فأصبحنا نرى وفقا لمبدأ التداخل الأجناسي قصائد سردية وأخرى حوارية، وأخرى درامية...إلا أن تسمية القصيدة باسم من هذه الأسماء لا يعني دائما الغياب الكلي للتقنيات الأخرى، بل ترجع تسميتها إلى نوع التقنية المهيمنة فيها؛ فداخل قصيدة واحدة قد ترد التقنيات المذكورة مجتمعة، وفي هذا الإطار تندرج مجموعة من القصائد الشعرية المعاصرة التي تعرف حضورا بارزا لتقنية السرد الروائي منها قصيدة "البغي"، و"عند المرأة"، و"حكاية " لنزار قباني، و"حفار القبور"، و"المومس العمياء"، و"الأسلحة والأطفال" لبدر شاكر السياب، و"مصرع بلبل " و" القرصان " و" الأميرة والبلبل " لعبد الوهاب البياتي، و"حديث جائع " و " الجريح " لأدونيس ،و"البئر المهجور" ليوسف الخال، و"البحث عن خان أيوب " لسعدي يوسف.

وبالانتقال إلى الشعر المغربي نجد من الشعراء الذين كان للتداخل الأجناسي حضور بارز في قصائدهم الشاعر أحمد المعداوي المجاطي.

المبحث الثاني: تجليات التداخل الأجناسي في قصيدتي سبتة والقدس لأحمد المعداوي المجاطي.

يتولى الشاعر في قصيدة القدس التعبير بالسرد، وبالفعل الماضي وبضمير المفرد الغائبة (هي)، فيحكي لنا قصة مدينة القدس وصراعها مع العدو الصهيوني، فيبدأ القصيدة بذكره لمجموع الأحداث التي قامت بها مدينة القدس ـ التي تحولت إلى شخصية آدمية بعدما تعرضت الثورة فيها للإجهاض:

رأيتك تدفنين الريح
تحت عرائس العتمه
وتلتحفين صمتك
خلف أعمدة الشبابيك
تصبين القبور
وتشربين
فتظمأ الأحقاب
ويظمأ كل ما عتقت
من سحب ومن أكواب
ظمئنا
والردى فيك
فأين نموت يا عمة؟ (أحمد المعداوي المجاطي، ديوان الفروسية، 1987).

لتظهر بعد ذلك وفي إطار تطور الأحداث شخصية ثانية مضادة لشخصية القدس (المرأة العجوز)، إنها شخصية العدو الصهيوني الذي تم التعبير عنه بالثعبان، هذا العدو الذي يحاول جاهدا القضاء على وجود القدس

تحز خناجر الثعبان

ضوء عيونك

الأشيب (أحمد المعداوي المجاطي ، ديوان الفروسية، 1987).

ثم بعد ذلك وبواسطة تقنية الاسترجاع التي هي من سمات النصوص السردية، يعمل السارد (الشاعر) على تذكيرنا بقصة هذا الطاغوت الذي أصبح يفرض وجوده ويتقدم نحو المدينة العجوز؛ حيث كان فيما مضى غير موجود حضاريا، إنه كان يعيش تائها في أرض سيناء لمدة دامت أربعين سنة:

وتشمخ في شقوق التيه

تشمخ لسعة العقرب (أحمد المعداوي المجاطي ، ديوان الفروسية، 1987).

وقد قدمت لنا كل هذه الأحداث من قبل الشاعر بصفته ساردا غير مشارك فيها، إذ كان يكتفي بتصوير ونقل ما يجري أمامه، قبل أن يعلن مشاركته الوجدانية مدينة القدس أحزانها، وذلك بالاعتماد على تقنية الوصف الذاتي المباشر وهي من بين مقومات السيرة الذاتية:

وأكبر من سمائي

من صفاء الحقد في عيني

أكبر

وجهك الأجدب

أيا بابا إلى الله

ارتمى

من أين آتيك

وأنت الموت، أنت الموت

أنت المبتغى

الأصعب (أحمد المعداوي المجاطي ، ديوان الفروسية، 1987).

لينقل إلينا بعد ذلك الشاعر السارد مجموع الأفعال التي قام بها بغية إنقاذ هذه المرأة العجوز(القدس) التي يحاول العدو(إسرائيل) انتهاك حرمتها والقضاء عليها:

مددت إليك فجرا من حنيني

للردى وغمست محراثي

ببطن الحوت

فأية عشوة نبضت بقلبي

فجئت إليك مدفونا

أنوء بضحكة القرصان

وبؤس الفجر في وهران (أحمد المعداوي المجاطي ، ديوان الفروسية، 1987).

لتتأزم الأحداث لما يكتشف السارد بصفته العنصر المساعد للمرأة العجوز أن هناك تواطؤ بين المسؤولين على عدم التدخل لمساعدة هذه المرأة (القدس)، وإخراجها من محنتها:

وصمت الرب أبحر في خرائب مكة

أو طور سينينا (أحمد المعداوي المجاطي ، ديوان الفروسية، 1987).

فكان هذا عاملا معارضا أدى إلى فشل الشاعر السارد في تحقيق غايته، مما جعل نهاية القصة المعروضة نهاية سلبية، تمثلت في ضياع كل المجهودات المبذولة والعودة مرة أخرى إلى نقطة البداية، وهي عودة تجعل القصيدة قائمة في نسجها على بناء دائري. وهكذا أصبحنا ونحن نقرأ القصيدة وكأننا نقرأ قصة تمت المحافظة فيها على الأقانيم الثلاثة للكتابة القصصية وهي البداية، والوسط، ثم النهاية.

ولم تكن تقنية السرد وحدها هي الحاضرة في القصيدة، بل إن هناك حضور لتقنية تعد من خصائص ومقومات الفن المسرحي، ألا وهي تقنية الصراع الدرامي، ويبدو ذلك بارز من خلال الصراع القائم بين المرأة العجوز(القدس)، والعدو الصهيوني(إسرائيل)، حيث إن المرأة العجوز تعمل جاهدة من أجل المحافظة على وجودها في حين يتمثل الموقف المضاد الذي يمثله العدو في الرغبة الجامحة لهذا الأخير في القضاء كليا على وجود هذه المرأة. كما يبرز لنا أيضا هذا الصراع من خلال التقابل الموجود بين الشاعر من جهة والمسؤولين العرب من جهة أخرى، إذ إن الشاعر متعاطف بشكل كلي مع المرأة العجوز(القدس)، ويرى أنه من الضروري تحريرها معبرا بذلك عن موقف إنساني نبيل، في حين يظل المسؤولون العرب ملتزمين الصمت معبرين بذلك عن موقفهم اللاإنساني تاركين الصهيانة يفعلون ما يحلو لهم، في مقابل نبذ الشاعر الكلي للصهاينة. إلا أن الصراع الدرامي القائم في النص كانت نهايته سلبية بالنسبة للشاعر، حيث ظل الجبناء هم المسيطرون، ليبقى الشاعر والمدينة في ضيق وحزن دائم. مما يكشف لنا زيف الواقع والعبثية التي أصبحت تسوده. وهكذا ساهم حضور الصراع الدرامي في النص في تحقيق جمالية كبيرة للقصيدة، انطلاقا من كونه كان وسيلة للانتقال من موقف لآخر ومن شعور لآخر، الشيء الذي زاد من إقبالنا على القصيدة، وفي هذا الصدد يقول عز الدين إسماعيل " **حين يمضي التفكير الشعري في اتجاه واحد نجد أنفسنا ازاء شعر لا نقبل**

عليه بحماسة وإن كنا لا نرفضه" (عز الدين إسماعيل، 1988.)، ويزكي هذا الأمر قوله في موضع آخر" **وصارت أروع القصائد الحديثة العالمية هي أولا وقبل كل شيء قصائد ذات طابع درامي من الطراز الأول**" (عز الدين إسماعيل، 1988.).ومن هنا نستشف الدور الكبير الذي يؤديه حضور الصراع الدرامي في القصيدة المعاصرة، فهو يرفع من قيمتها، ويجعل القارئ يتفاعل معها أكثر من تفاعله مع بقية القصائد.

وبالانتقال إلى قصيدة سبتة نلاحظ مرة أخرى التداخل الكبير داخلها بين عدة تقنيات تنتمي لمجال النصوص الحكائية، ومن أبرزها تقنية السرد، والوصف، والحوار؛ فداخل هذه القصيدة تحضر تقنية السرد ممتزجة بتقنية الوصف من خلال إخبار الشاعر لنا بصفته ساردا وشخصية في الوقت نفسه بقصته مع مدينة سبتة التي تحولت بدورها في القصيدة إلى شخصية إنسانية جعل منها عاشقة له؛ حيث بدأ القصة التي يعرضها في القصيدة بذكره لأهم المغامرات التي يقوم بها لتحرير عاشقته، ليأخذ بذلك الشاعر السارد المكشوف للقارئ دور البطل، فهو العاشق الذي لا يقبل بقاء عاشقته أسيرة تحت وطأة المستعمر، لذلك فهو مستعد للتضحية من أجلها، وذلك ما يرصده المقطع الشعري الآتي:

أنا النهر أسرج همس الثواني
وأركب نسغ الأغاني
وأترك للريح والضيف صيفي
ومجدول سيفي
وآتي على صهوة الغيم
آتي على صهوة الضيم
آتي على كل نقع يثار

وآتيك

أمنح عينيك لون سهادي

وحزن صهيل جوادي

وأمنح عينيك صولة طارق (أحمد المعداوي المجاطي ، ديوان الفروسية، 1987).

ليخبرنا بعد ذلك أن محاولته باءت بالفشل من خلال قوله:

وأسقط خلف رماد الزمان

وخلف رماد الزوارق (أحمد المعداوي المجاطي ، ديوان الفروسية، 1987).

وقد فشل العاشق في محاولته نظرا لما يسود العالم العربي بصفة عامة والمغربي بصفة خاصة من عبثية بعد الاستقلال النسبي. وهذا شيء يذكرنا بقصة أرفيوس الفنان الأسطوري الذي ضاعت منه هو أيضا حبيبته، ليكتشف أنها أسيرة بين أيادي الوحوش تحت الأرض فلما حاول إنقاذها ضاعت منه في آخر لحظة بسبب شيء عبثي ألا وهو التفاتته إليها لحظة الخروج من العالم السفلي. فكلا العاشقان يقف العبث أمامهما ويحول دون تمكنهما من تحقيق رغباتهما المشروعة. إلا أن تعلق العاشق (المجاطي) بعاشقته (سبتة) بشكل كبير منعه من الاستسلام، وجعله يعدها بمحاولة أخرى معتمدا في ذلك على تقنية الاستباق التي تعد بدورها من مقومات النص السردي وذلك ما يبرزه المقطع الآتي الذي تم جعله نهاية للقصة المعروضة:

سآتي على صهوة الغيم

آتي على صهوة الضيم

آتي

على كل نقع يثار (أحمد المعداوي المجاطي ، ديوان الفروسية، 1987).

وهكذا تبقى نهاية قصة الشاعر مع المدينة نهاية مفتوحة، حيث إن الشاعر لم يحقق مبتغاه ولم يعلن استسلامه. وتعد تقنية عدم وضع حل نهائي للقصة من تقنيات الكتابة القصصية الحديثة. والجميل في الأمر هو أن الشاعر قد جمع داخل النص بين دوري السارد والواصف، فهو تارة يخبرنا بما يقع من أحداث، وتارة يتوقف عن السرد ليقدم لنا صورة واضحة عن العاشقة، وعن مشاعره الداخلية تجاهها، ومن أمثلة ذلك قوله في وصف العاشقة (مدينة سبتة):

وزنزانة يشمخ الصمت في قبضتيها (أحمد المعداوي المجاطي ، ديوان الفروسية، 1987).

ثم قوله في موضع آخر من القصيدة:

وحين أراك على مدخل الثغر
عاشقة غجرية (أحمد المعداوي المجاطي ، ديوان الفروسية، 1987).

ولم يكتف الشاعر في قصيدته بتوظيف تقنيتي السرد والوصف، بل إنه وظف عنصر الحوار أيضا، هذا الأخير الذي يعد في أصله من خصوصيات الفن المسرحي، وهذا ما يؤكده الدكتور وادي طه في قوله " **الحوار هو الأداة الفارقة أو السمة الجامعة المانعة لأي عمل مسرحي**".

ويتمثل حضوره داخل القصيدة من خلال المقاطع التي يدخل فيها الشاعر بصفته عاشقا في حوار مع مدينة سبتة بصفتها عاشقة له، حيث يقول الشاعر مخاطبا عاشقته:

أقول عرفتك:

أنت قرارة كأسي
وقبضة فأسي
وعتب وكفارة
وصلاة
وزنزانة يشمخ الصمت في قبضتيها
وتعنو الدواة
أقول عرفتك،
أنت...
ويخذلني العشق
فهل أنت واحدة من نسائي
العذراى
أم أنك عينان
غرناطة فيهما طفلة
آه قاتلتي أنت (أحمد المعداوي المجاطي ، ديوان الفروسية، 1987).

ثم بعد انتهاء كلامه الذي يعبر فيه لمحبوبته عن مشاعره تجاهها يتراجع الشاعر العاشق إلى الوراء، ليترك الفرصة لعاشقته حتى تفصح بنفسها للمتلقي عما تختزنه هي الأخرى في صدره قائلة:

هل همست نسمة
أن تطوان جارية
أن مراكش تنفش العهن

أني أحاور أروقة القصر
ألبس لليل زهو الخوان
وقهقهة القهرمان
وأني ...
هل همست نسمة؟ (أحمد المعداوي المجاطي ، ديوان الفروسية، 1987).

ليتدخل بعد ذلك صوت الشاعر الواصف فيقدم لنا صورة عن بعض الملامح الخارجية للعاشقة والتي تعكس حالتها النفسية من خلال قوله:

يتدارك عينيك شوق وثكل.
تغنين مقرورة (أحمد المعداوي المجاطي ، ديوان الفروسية، 1987).

وتندرج هذه العبارة ضمن ما يسمى في الفن المسرحي بالإرشادات، إذ إنها تجعل قارئ النص المكتوب وكأنه يعيش في قلب الحدث، فيرى ويسمع ما يحدث، وبذلك تكون لها وظيفة جمالية كبيرة داخل القصيدة. فهي تساعد القارئ على امتلاك صورة عامة عن المشهد المسرحي الموجود في القصيدة، والمتمثل في الحوار القائم بين الشاعر ومدينة سبتة. ليفسح الشاعر السارد بعد هذه الإضاءة المجال مرة أخرى لعاشقته، لتستمر في البوح بنفسها بكل ما تشعر به فتأتي قائلة:

آه حين يفيض الضوء
من شقائق النعمان
وتنتشي تطوان
أحس نفسي طفلة خرساء
تكتب للفجر اسمها

في جسد الصحراء
أحس نفسي طفلة مسكونه
تكتب للماء اسمها
في جذع ليمونه
حين يفيض الضوء
من شقائق النعمان (أحمد المعداوي المجاطي ، ديوان الفروسية، 1987).

فهذا المقطع الحواري يمثل لحظة جمالية مختلفة عن بنية القصيدة، حيث من خلاله تتم تعرية المدينة وإخراجها من دائرة الصمت لتصرح بما يجوس في وجدانها، كما أنه لحظة يتوقف فيها السرد والوصف الشعريان، ليتسنى للمتلقي أن يكتشف بنفسه وبواسطة الحوار موقف مدينة سبتة من الواقع المزري الذي تعيشه في ظل ما يسود داخلها من أحداث مأساوية، وذلك من منطلق أن " **الحوار ليس كلاما تنطق به الشخصية فحسب بل هو منطقها الفكري**" (وادي، 1989).

ومن هنا نلاحظ كيف تداخل الحوار والسرد والوصف في القصيدة ليضفوا عليها " **أثرا جماليا مختلفا عن الأثر الجمالي الذي يتوالد في نفسية المتلقي في أثناء قراءة الشعر الغنائي الصافي.**" (خليل موسى ، 2010).

وعموما نقول إن ما تم رصده من تداخل أجناسي في قصيدتي المجاطي لا يعدو أن يكون سوى صورة من صور التداخل الأجناسي في الشعر المغربي المعاصر، وهي صورة تنم عن وعي كامل بمعطيات الأدب، وعي بتفاعل وتنامي الأدب بما يتناسب وروح العصر.

خاتمة:

وختاما نقول إن الشاعر المغربي أحمد المعداوي المجاطي يعد من أهم الشعراء المغاربة المعاصرين الذين وظفوا في أشعارهم عناصر بنائية لأجناس أدبية مجاورة، توظيفا يتفق ونسق التعبير الشعري كما في قصيدتي سبتة والقدس اللتين وظف فيهما عناصر السرد القصصي وتقنياته، وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج يمكن حصرها فيما يأتي:

ـ لقد أتاحت عناصر السرد القصصي للشاعر أحمد المعداوي المجاطي مساحة واسعة للتعبير عن معاناته المتصلة بمعاناة أهل سبتة والقدس، وكذا لتجسيد رؤياه للعالم.

ـ إن التنوع الذي عرفته قصيدتي سبتة والقدس من حيث مقوماتهما الفنية بالجمع بين ما هو شعري محض وبين ما يرتبط بأجناس أدبية حكائية زاد القصيدتين عمقا فنيا على مستوى الرؤية الجمالية.

ـ لقد أغنى الشاعر أحمد المعداوي المجاطي قصيدتي سبتة والقدس بعناصر السرد القصصي بما في ذلك السرد والاسترجاع والاستباق والحوار والوصف، وهي كلها تقنيات وعناصر نقلت القصيدتين من الغنائية إلى أفق موضوعي استطاع من خلاله أن يحكي جزءا من التاريخ المغربي والفلسطيني.

ـ رغم ما عرفته قصيدتي سبتة والقدس من تداخل وتعالق أجناسي فإن ذلك لم يفقدهما طابعهما الشعري، وذلك نتيجة ما انبنت عليه القصيدتان في الأصل من تصوير وموسيقية ولغة ايحائية انزياحية، وهو ما يعني أن التداخل الأجناسي بين الشعري والسردي في الشعر المغربي المعاصر لم يشوه مطلقا القصيدة، وإنما على العكس من ذلك ساهم في إضفاء صفة الحداثة عليها، وجعلها تنفتح على آفاق تأويلية واسعة.

وتبقى من أهم توصيات هاته الدراسة أن المبدع في فن من الفنون الأدبية عليه أن لا يجعل نفسه حبيس مقومات ذلك الفن، لأن ذلك من شأنه أن يحد من قدراته الإبداعية، ويحرمه من عدة آليات أخرى التي بإمكانها إغناء عمله فنيا وكذا مضمونيا.

لائحة المصادر والمراجع:

1. *طه وادي"جماليات القصيدة المعاصرة"، دار المعارف، القاهرة،الطبعة الثانية 1989، .*
2. أحمد المعداوي المجاطي "*ديوان الفروسية*"،المجلس القومي للثقافة العربية، الدار البيضاء، (1987)
3. أخليل موسى "*آليات القراءة في الشعر العربي المعاصر*"، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2010.
4. عز الدين إسماعيل " *الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية*"، دار العودة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1988.
5. ناهم أحمد "*التناص في شعر الرواد دراسة* القاهرة"، دار الأفاق العربية، القاهرة. الطبعة الأولى، 2007.